هرمنيوطيقا شلايرماخر في فهمِ النصِّ القرآني
"عرضٌ ونقدٌ"

أ.م.د. سلام عبد الحسن ساجت
كلية التربية الأساسية / جامعة الكوفة

Shleier Macher's Hermeneutics in Understanding the Qur'anic Text "Exposition and Criticism"

Asst.Prof.Dr. Salam Abdel Hassan Sajet
College of Basic Education / University of Kufa
Email: Salamsalan7@gmail.com

ملخص البحث

سُمّي شلايرماخر مؤسس الهرمنيوطيقا الحديثة؛ وذلك أنّ تاريخ الهرمنيوطيقا يشير الى أنّها ظهرت مع شلاير ماخر بمفهومها الجديد الذي يتلخص في كونها: فن الفهم، أو فهم الفهم ، أو معرفة الفهم، أو تشريح عملية الفهم، أو قراءة القراءة، إذ تنشد تحليل كيفية تلقي القارئ للمعنى، وبيان ماهية فهمه، وما الذي يحدث عند فعل القراءة ، وقد مرت الهرمنيوطيقا بعدة مراحل منها مرحلة الهرمنيوطيقا الكلاسيكية عند اليونان بتفسير النصوص المقدسة ونقلها من مستوى اللاهوتية إلى مستوى البشرية.

حيث يحتاج المفسر للوصول الى معنى النص الى موهبتين : الموهبة اللغوية (معرفة اللغة والاحاطة بقواعدها)، والقدرة على معرفة الطبيعة البشرية للمؤلف عن طريق ما تحيط به من ظروف ، بمعنى معرفة البيئة الموضوعية التي تحيط بالمؤلف ، ومن ذلك معرفة المبادئ الاساسية التي انطلق منها ، حيث إنّ اللغة هي وساطة لنقل الأفكار، والأفكار نتاج ذهن المفكر المتأثر بطبعه بالمناخ الذي يحيط به ، وقد حاول شلايرماخر عبر هذه القواعد إثبات تعددية الفهم، وبذلك تكون هذه الفكرة قائمة على بشرية النص الديني، ومدخلية الزمان والمكان في تجديد المعاني ، وبذلك تكون الهرمنيوطيقا عبارة عن اتجاه تم تحميله على النص الديني، ويعد هذا اشكال جوهري عليها.

الكلمات المفتاحية: شلايرماخر، الهرمنيوطيقا، النص الديني، اشكالات ونقد.

Abstract

Schleiermacher has been called the founder of modern hermeneutics; This is because the history of hermeneutics indicates that it appeared with Schleier Macher with its new concept, which is summed up in it being the art of understanding, or understanding understanding, or knowing understanding, or dissecting the process of understanding, or reading reading, as it seeks to analyze how the reader receives meaning, and to explain the nature of his understanding, What happens during the act of reading? Hermeneutics has gone through several stages, the stage of classical hermeneutics among the Greeks, with the interpretation of sacred texts and their transfer from the theological level to the human level.

To reach the meaning of the text, the interpreter needs two talents: linguistic talent (knowledge of the language and familiarity with its rules), and the ability to know the human nature of the author through the circumstances that surround him, meaning knowledge of the objective environment that surrounds the author and thus knowledge of the basic principles from which he started. As language is a medium for transmitting ideas, and ideas are the product

of the thinker's mind, which is naturally influenced by the climate that surrounds him.

Through these rules, Schleiermacher tried to prove the pluralism of understanding, and thus this idea is based on the humanity of the religious text and the involvement of time and place in renewing meanings. Thus, hermeneutics is a trend that has been attached to the religious text, and this is considered a fundamental problem with it.

Keywords: Schleiermacher, hermeticism, religious text, problems and criticism.

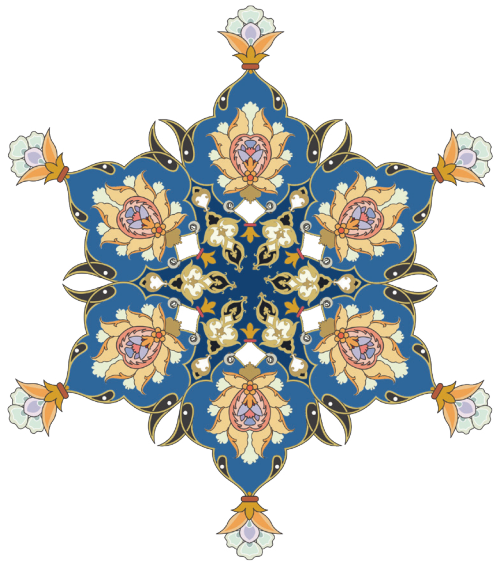

أهمية البحث:

تأتي اهمية البحث من معرفة الهرمنيوطيقا، عبر أفكا ر مؤسسها شلاير ماخر، وما هي التحولات والمراحل التي مرت بها والاتجاهات ، وعرض الاشكالات التي ترد عليها.

منهج البحث:

المنهج الوصفي والتحليل التاريخي لمراحل الهرمنيوطيقا ولا يخلو البحث من نقد.

نبذة تاريخية عن حياة شلاير ماخر:

فريدريش دانييل شلايرماخر فيلسوف ولاهوتي ألماني ولد يوم ٢١ نوفمبر ١٧٦٨م، في بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر، وتوفي عن عمر يناهز ٦٦ عاما، يوم ١٢ فبراير١٨٣٤م، في بداية النصف الاول من القرن التاسع عشر للميلاد ، من عائلة بروتستانتية[1] ، تعلم بالمدرسة الإكليريكية للإخوة المورافيين في باربي، وكان شديد الانزعاج من انضباط هذه المدرسة ، ودرس في جامعة هال من سنة ١٧٨٧م إلى سنة ١٧٨٩م ولم يخف تبرمه وضيقه من عقلانيتها، وهو ما أدخله في متاهة وحيرة انتهت به إلى نبذ العقائد الدينية كافة ، وعدّ كل تدخل للعقل في مجال الإيمان نوعًا من الانحراف ، ومع ذلك، اجتاز في سنة ١٧٩٠م ببرلين الامتحان اللاهوتي لختام الدراسة وتخرج منها وأصبح قسا، ثم عين واعظا مساعدا ١٧٩٤م فمرشدا روحيا ١٧٩٦م في مستشفى المحبة ببرلين ، وذاع صيته نتيجة مؤلفه خطب في الدين ١٧٩٩م الذي أثار سجالا واسعا ، ومؤاخذات جمة تولى شلايرماخر الإجابة عنها في كتابه (مناجاة النفس) ١٨٠٠م ، و قام بالتعاون مع شليغل بترجمة آثار أفلاطون، ثم استكملها بمفرده بين سنتي ١٨٠٤و ١٨١٠م في خمسة مجلدات ، وكان لتقديمه لها أثر فلسفي كبير ، وكتب في هذه المدة كتابه نقد الأخلاق السابقة ١٨٠٣م وسمي أستاذًا فوق العادة للاهوت بجامعة هال ، فأقبل على دروسه جمع غفير، إلّا أنّ الجامعة اضطرت إلى تعليق دروسه بعد هزيمة إيينا، فعاد إلى برلين، اذ أسهم في تأسيس

(١) هي أحد مذاهب وأشكال الإيمان في الدين المسيحي. تعود أصول المذهب إلى الحركة الإصلاحية التي قامت في القرن السادس عشر هدفها إصلاح الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا الغربية.

الجامعة الجديدة ، وعمل أول مدرس للاهوت بها سنة ١٨١٠م ، انتخب شلايرماخر سنة ١٨١١م عضوا بأكاديمية العلوم البروسية ، ترك عدة مؤّلفات منها: الإيمان المسيحي طبقا لمبادئ الكنيسة الإنجيلية، الأخلاق الفلسفية، دروس في علم الجمال [١]، فعلى يد شلايرماخر تخلت الهرمنيوطيقا عن مهمتها الأولية المتمثلة في متابعة المعنى لتصب جل اهتمامها على وضع القوانين و المعايير التي تضمن الفهم المناسب للنصوص، أيًا كانت هذه النصوص في تحققها الملموس[٢] ، ثم تحول من الوجه المعرفي الى الوجودي على يد هايدغر ديغمر حيث الهرمنيوطيقا الوجودية في حقيقة الفهم.

سبب انطلاق هذه الفكرة عند شلاير ماخر:

جاء ما يعرف بعصر التنوير[٣] (يعد كلادينيوس (١٧٥٩ -١٧١٠م) نموذجا يمثل خير تمثيل فكر التنوير حين ينصب على قضية الفهم ، كان كلادينيوس ينادي بتأسيس مبحث منفصل للتأويل يتميز عن كل من فقه اللغة (الفيلولوجيا) نقد النصوص، وكان السؤال الأساسي الذي يشغله هو : هل بالإمكان وضع قواعد ، أو أحكام لعملية التأويل؟ أمّا جوابه المبدئي الذي حاول جهده أن يبسطه ويتوسع فيه ، كما يتوقع كل من ألم بالروح السائدة في عصر التنوير نعم ، إذا اتبعنا مجموعة من القواعد السديدة فمن الممكن أن نصل إلى التفسير الصحيح والكامل[٤] .

إنّ دعوة كلادينيوس هذه تُعّد خطوة مهمة لمن يأتي بعده من الفلاسفة ، فدعوته لتأسيس مبحث منفصل للتأويل ولدور الحس المشترك في الفهم مهدت بصورة واضحة لشلاير ماخر في تأسيسه للهرمنيوطيقا العامة ، ففي المجال السايكولوجي النفسي يؤكد

(١) أنظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ٣٩٦.
(٢) من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، شرفي عبد الكريم، ٢٤.
(٣) يُعرّف عصر التنوير بأنه: تلك الفترة من الفكر الاوربي التي اتسمت بروح جديدة من الثقة بالعقل والشك في كل سلطة تقليدية ، وبزوغ تدريجي لأفكار الحرية والديمقراطية وفصل السلطات ، والتعويل على المنهج والتجربة ، والتفاؤل والايمان بالتقدم التاريخي البشري عبر التربية وباستعمال العقل والالتزام بالموضوعية العلمية ، فهم الفهم، عادل مصطفى ، ٨٣-٨٤ .
(٤) فهم الفهم مدخل الى الهرمنيوطيقا، عادل مصطفى، ٨٤-٨٥ .

كلادينيوس أنّ الحس المشترك له دوره الحيوي في عملية الفهم ، فالمرء يفهم القول المنطوق، أو المكتوب فهما تاما إذا ما أخذ بالحسبان جميع الأفكار التي يمكن أن توقظها الكلمات فينا وفقا لأحكام القلب والعقل ، ولا نعني هنا كل فكرة ممكنة ، بل الأفكار التي تتفق مع الحس المشترك بالنظر إلى معرفتنا بالأحوال السائدة[١] .

وبعد أن أوكلت إليه مهمة تدريس الإنجيل سنة ١٨٢٩م للعهد الجديد ، أضحى يتساءل إذا أراد أن يدرس الإنجيل يجب أن اكون على وعي تام بأي معنى حين أشرح، فالشرح يتطلب مسبقا الفهم ، إن الانتباه لمثل هذه الأسئلة تؤدي بنا إلى جوهر الهرمنيوطيقا، ثم شرع في جمع تلك القواعد ؛ سعيا منه لتحقيق الاستقلالية لهذا المبحث، والذي سماه بالهرمنيوطيقا العامة.

غير أن هذه الهرمنيوطيقا العامة، فيما يرى شلايرماخر، لم تكن موجودة ، فلم تكن هنالك غير أفرع هرمينوطيقية متباينة ، أهمها الهرمنيوطيقا الفيلولوجية (فقه اللغة) واللاهوت، والقانون ، وحتى داخل الهرمنيوطيقا الفيلولوجية لم يكن هناك ترابط منهجي، بل مجموعة من القواعد والإشارات العملية المهيأة لمواجهة مشكلات لغوية وتاريخية جزئية بعينها تطرحها النصوص القديمة العبرية واليونانية واللاتينية ، كان الشيء الغائب دائما هو التصدي للفعل الأساس في كل تفكير – المتمثل في– فعل الفهم، الفهم الذي يضطلع به كائن إنساني .[٢]

عاش شلاير ماخر عصر الأسئلة الفلسفية واللاهوتية الكبرى، فقد تعرضت الأدلة الفلسفية على وجود الله إلى نقد تقويضي في فلسفة ديفيد هيوم ، وإيمانويل كانط وغيرهما من فلاسفة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكان النقد الذي تعرض له الكتاب المقدس شديدًا، بعد تعارض بعض ما جاء فيه مع الاكتشافات والنظريات العلمية الحديثة.[٣]

(١) فهم الفهم ،عادل مصطفى ، ٨٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ٩٨.
(٣) خطابات لمحتقريه من المثقفين، شلاير ماخر، فريدريش ، ٥ .

من أبرز الاسباب التي دفعت شلاير ماخر الى التقعيد والتأسيس للهرمنيوطيقا هي:

البيئة التي كانت مشحونة بالانتقادات من قبل المثقفين على النص وخاصةً النص الديني (التوراة والانجيل) ، مع وجود خلاف حاد في فهم هذه النصوص وسيطرة أصحاب الكنيسة ، مع وجود التداعيات الى التجديد أي بداية عصر النهضة والتنوير.

أوكلت إليه مهمة تدريس الإنجيل سنة ١٨٢٩ م للعهد الجديد، فلابد من وجود قواعد وتقنينات مما دفعه لابتكار الهرمنيوطيقا .

الاراء الفلسفية المعاصرة في ذلك الزمان في قراءة النص والاسئلة الموجهة للنص فلا بد من أجوبة لهذه الاسئلة والآراء المطروحة.

نشأة الهرمنيوطيقا الحديثة عند شلاير ماخر:

عمل شلاير ماخر على تجاوز المنهج التقليدي، للتحليل الكلاسيكي الذي بدأ على يد كل من أفلاطون وأرسطو وحتى العصر الحديث فيما عرف بالكلاسيكية ، حيث تقوم تأويلية شلاير ماخر على أساس أنّ النص عبارة عن وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف الى القارئ ومن ثمَّ يشير في جانبه اللغوي الى اللغة بكاملها ، ويشير الى جانبه النفسي الى الفكر الذاتي لمبدعه ، والعلاقة بين الجانبين علاقة جدلية وبعد تأكيده على هذه العلاقة وحاجتها الى التأويلية ، ينطلق شلاير ماخر لوضع قواعد الفهم من تصوره لجانبي النص اللغوي والنفسي ، إذ يحتاج المفسر للنفاذ الى معنى النص الى موهبتين : الموهبة اللغوية ، والقدرة على النفاذ الى الطبيعة البشرية ، حيث إنّ الموهبة اللغوية وحدها لا تكفي؛ لأنّ الإنسان لا يمكن أن يعرف الإطار اللامحدود للغة ، كما أنّ الموهبة في النفاذ الى الطبيعة البشرية لا تكفي؛ لأنّها مستحيلة الكمال ؛ لذلك لابد من الاعتماد على الجانبين ، ومن هنا عُرفت هذه المرحلة بالهرمنيوطيقا الرومانسية ، إذ عد شلاير ماخر هو عتبة الانتقال من التأويل اللاهوتي الى التأويل الفلسفي الانساني عند بعض الباحثين.

وأنّ الحديث عن الهرمنيوطيقا العامة يقتضي بنا الوقوف عند الغاية التي كان يرمي إليها

شلايرماخر ، فنجدها متمثلة في تحويل التفسير إلى نظرية فنية في ميدان أعمال اللغة البشرية وصنائعها، بحيث ينسب لها شلايرماخر استجلاء تلك الروابط الناشطة بين اللغة وطرائق التعبير الخاصة بكل فرد ، وهذه الطرائق أو التقنيات لا تستقيم وتترابط فيما بينها إلا حين تتداخل اللغة تداخلا كاملا بموضوعاتها، وبمنحى تكوين الأفكار، فيكون هذا التداخل بمثابة طريقة ، أو وظيفة الحياة الفكرية للفرد في علاقتها بجوهر الفكر نفسه بحيث يمكننا أن نعرض بتماسك مطلق الكيفية التي ينبغي أن نتماشى على مقتضاها لكي نفهم هذه الأفكار، فالهرمنيوطيقا التي سعى إلى تأسيسها شلايرماخر تعنى بفهم تفاعلات الحياة التي يختبرها الكاتب، وبفهم صياغات اللغة التي يبتكرها فكر الكاتب حين يعمد هو الى مباني اللغة يبت فيها عناصر رؤيته الفكرية الجديدة فيغير منها العبارة والتراكيب والدلالات ، ولا عجب من أن يكون الفهم الصائب الذي تطمح إليه هرمنيوطيقا شلايرماخر منعقدا على تطلب الخطاب ، وتحليله تحليلا يستند إلى اللغة المستعملة والبحث في المسعى الفكري الناشط في الخطاب ، وإنّ اللغة والمسعى الفكري يعينان للخطاب هويته وقوامه و طبيعته.[1]

إنّ الخطوط الكبرى لفن التأويل الفلسفي القائم على الفهم، بوصفه مرتبطًا بالتفسير، والتفسير يحتاج إلى قواعد ثابتة وعامة يتناول فيه المؤول تفاعل المستويات الكبرى للتجربة التأويلية ، والمتمثلة في اللغة وعلاقتها بفاعلية الحوار ضمن نسيج لغوي حي، وتعدّ اللغة، في الظاهرة التأويلية شرطًا أساسيًا يجب أن تراعيه الهرمنيوطيقا الجديدة حتى تندرج ضمن نطاق العلم الشامل، ويتأتى ذلك بالإلمام الفطن بقواعد اللغة التي نشأ فيها النص ، فالنص عبارة عن وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف إلى القارئ وبالتالي فهو يشير في جانبه اللغوي إلى اللغة بكاملها ، ولا سيما بقواعد اللغة التي استعملها الكاتب في إنشاء نصه، ومعرفة الكاتب في خصوصيته عبر سيرته الذاتية الحياتية، والإحاطة بموضوع التفسير إحاطة وافية وموضوعية منصفة، وفهم القصد المباشر للمؤلف في علاقة حوارية خلاقة لفن التأويل الذي وضعه كلّ من شلايرماخر ودلتاي والذي يركز على صرامة المنهج (الآليات اللغوية

(١) أنظر: الفسارة الفلسفية ، الدكتور باسل عون، ٦٩

والمنطقية في قراءة النصوص) وتقييم مقاصد المؤلف، بمعنى التركيز على البعد النفسي في القراءة ، وعليه يصبح التأويل عند شلايرماخر تأويلًا لغويًا مجردًا يدعمه التأويل النفسي بإعادة تأسيس المقاصد الأولية للشخص(المؤلف)، والسعي لإعادة إنتاج المعنى الأصلي الذي يتوارى خلف النص، نميز من طريق هذا السياق بين التأويل النفسي والتأويل النحوي اللغوي ، بالرغم من التاريخ الطويل للهرمنيوطيقا (إلّا إنّها لم تعي برهانها الفلسفي ، ولم تكتسب صرامة إلّا منذ شلاير ماخر الذي جمع بين الجدارة في التأويل الفقهي اللغوي والكفاءة الفلسفية المكتسبة من المدرسة التراسندنتالية ، فنظر وأمعن في الهرمنيوطيقا كمسألة تهم تأويل الخطاب وجذور قواعد التأويل إلى مستوى تحليل الفهم ، أي إلى معرفة العمل القصدي نفسه ؛ ليستنتج منه إمكانية تأويل ذات مشروعية كلية، بما في ذلك وسائل هذا التأويل وقواعده وحدوده)[١].

ويذهب شلايرماخر الى الإعلان بأن المفسر ينبغي له أن يكشف النقاب عن الفكر الأصلي عبر ما يبحث المرء بالفكر عن الغرض عينه الذي شاء الكاتب أن يفصح عنه.[٢]

فانطلاقة شلايرماخر من الخطاب الشفهي وليس من النصوص فهو يعتقد بأن كل عملية فهم انعكاس لعملية الكلام[٣] ، ويمحور عملية الفهم على المتكلم الأجنبي وعلى ذاتية المؤلف، كما أنّه ميز بين ثلاثة أشكال للفهم في فلسفته التأويلية هي : الفهم التاريخي الذي يرجع إلى المضمون، والفهم النحوي الذي يرجع إلى الشكل واللغة والعرض ، والفهم الذهني الذي يعتد بذهنية الكاتب وذهنية العصر[٤] ، وهذا على عكس من رؤية جادمير أنّ أساس الهرمنيوطيقا هو التوتر القائم بين الحاضر والماضي ، وعليه فإنّ الفهم عنده لا بد أن يجيب عما يقوله النص للحالة التي نعيشها، ويرفض ما ذهب إليه شلايرماخر من كون فهم النص يتم عبر الانسجام الروحي والنفسي مع المؤلف، أو إعادة معايشة

(١) الفلسفة والتأويل ، قارة ، نبيهة ، ٤٣.
(٢) أنظر: الفسارة الفلسفية ، باسل عون، ٧٢.
(٣) علم التأويل الأدبي، هانز روبرت جوس، ع: ٣.
(٤) المصدر نفس، ٥٦.

العملية الذهنية للمؤلف.

قواعد فن الفهم عند شلاير ماخر:

ولكي نفهم تأويلية شلاير ماخر لابد من أن نحدد الأركان الثلاثة وهي : النص، المؤلف، القارئ، ثم نستحضر إشكالية سوء الفهم التي تميز كل ذات واعية، والقدرة على التمييز بين الدلالة الذاتية (التأويل التقني) ، والدلالة الموضوعية (التأويل النحوي)، إنّ هذه العناصر هي التركيبة الأساسية لتأويل شلاير ماخر، ولكن ضمن النسق الذي يقترحه هو والذي يقوم (على أساس أنّ النص عبارة عن وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف إلى القارئ، وبالتالي فهو يشير في جانبه اللغوي إلى اللغة بكاملها ، ويشير في جانبه النفسي إلى الفكر الذاتي لمبدعه ، والعلاقة بين الجانبين فيما يرى شلاير ماخر علاقة جدلية ، وكل ما تقدم النص في الزمن صار غامضًا، وصرنا أقرب الى سوء الفهم لا الفهم ، وعلى ذلك لابد من قيام علم ، أو فن يعصمنا من سوء الفهم ويجعلنا اقرب الى الفهم)[1] ، وهذا الفهم يتأرجح بين الدلالتين الذاتية والموضوعية في النص ، ففي الدلالة الذاتية يكون كل فرد مسؤول عن الفكرة التي يشكلها حول النص ، أو الواقع ، أو الماضي ، وفي الدلالة الموضوعية تخضع الآراء الفردية لامتحان لغوي صارم بقصد الكشف عن الرأي السليم من جملة الآراء المعبر عنها .

هناك اذن في أي نص جانبان : جانب موضوعي يشير الى اللغة ، وهو المشترك الذي يجعل عملية الفهم ممكنة ، وجانب ذاتي يشير الى فكر المؤلف ويتجلى في استخدامه الخاص للغة[2]، لكن المسألة الدينامية هنا هو من أي جانب يبدأ القارئ هل يبدأ من الجانب اللغوي الموضوعي ، أو من الجانب النفسي الذاتي مما لاشك فيه أنّ كلا الجانبين مطلوبان لعملية الفهم ؛ لأنّ الاعتماد على احدهما دون الاخر لا يحقق عملية الفهم إن لم نقل باستحالتها فـ(الموهبة اللغوية وحدها لا تكفي ؛ لأنّ الإنسان لا يمكن أن يعرف الاطار اللامحدود

(١) إشكاليات القراءة و آليات التأويل ، نصر حامد أبو زيد ، ٢٠ .
(٢) أنظر : فهم الفهم مدخل الى الهرمنيوطيقا، عادل مصطفى، ١٢٠ .

للغة، كما أنّ الموهبة في النفاذ الى الطبيعة البشرية لا تكفي لأنها مستحيلة الكمال ؛ لذلك لابد من الاعتماد على الجانبين ولا يوجد ثمة قواعد لكيفية تحقيق ذلك)[١] ، ومن هنا يذهب شلايرماخر الى أنّ كلا الجانبين صالحان للبدء في عملية الفهم وإن كان الترتيب الطبيعي أن نبدأ بالجانب اللغوي ، كما أنّ هذا الدوران والتردد قاده إلى مفهوم الدائرة التأويلية (الكل يأخذ معناه من الجزء ، وهذا لا يمكن فهمه الا من خلال الكل)[٢] .

من الواضح جدًا أنّ مفهوم الدائرة التأويلية يستلزم تناقضًا منطقيًا ، أو ما يسمى بالدور؛ لأنّ (أ) يتوقف على (ب) ، و (ب) بنفس الوقت متوقف على (أ) ، فلكي نفهم جزئيات النص لابد من أن نفهم المعنى الكلي للنص ، ولكن هذا المعنى الكلي للنص هو في الوقت نفسه يتوقف فهمه على فهم جزئيات النص ، وبالطبع هذا المفهوم (هو مفهوم ممتنع إذا كنا نفكر في الأمور تفكيرًا خطيًا مستقيمًا ،غير أنّ المنطق الخطي يعجز عن تقديم شرح مقنع لعمل الفهم ، أمّا وجه الأمر فهو أنّ هناك «قفزة « تحدث داخل دائرة التأويل ، وإننا في الحقيقة نفهم الكل و الاجزاء معًا ، فالفهم عملية حالية مقارنة من جهة وحدسية من جهة أخرى ، ولكي تعمل دائرة التأويل على الاطلاق فهي تفترض بالضرورة عنصرًا حدسيًا)[٣]، فلا يمكن الاستغناء عن الفهم المسبق -الحدس المسبق للكل -(إنّ الدائرة التأويلية تعني أنّ عملية فهم النص ليست غاية سهلة ، بل عملية معقدة مركبة ، يبدأ المفسر فيها من أي نقطة شاء ، لكن عليه أن يكون قابلًا لأن يعدل فهمه طبقًا لما يسفر عنه دورانه في جزئيات النص وتفاصيله وجوانبه المتعددة التي أشار اليها شلاير ماخر)[٤] .

ولكل من المستويين (اللغوي والذاتي) جانبان تاريخي وتنبؤي (إنّ التأويل الأول يسعى إلى فهم الخطاب انطلاقًا من نمط التفكير الخاص بلغة معينة، مما يتطلب إلمامًا بهذه اللغة من حيث بنيتها المعجمية والنحوية ، والتأويل الثاني يدرك الخطاب كفكر فردي وذاتي

(١) إشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، ٢١ .
(٢) الفهم والنص ، بو زيد ، ١١٩
(٣) فهم الفهم مدخل الى الهرمنيوطيقا، عادل مصطفى ، ١٠٠ .
(٤) إشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد ، ٢٢ .

حيث أنّه ينتج عن فن التفكير ، وفن الحديث اللذين يمثلان نشاطين ذهنيين أو نفسيين)[1]، ورغم ذلك فقد ظلت هرمنيوطيقا شلايرماخر أسيرة المنهج ، وبالتالي لم تستطع أن تتخلص من النزعة الموضوعية في تفسير النص، وهي النزعة التي ارتبطت بنموذج المنهج السائد في العلم الطبيعي الحديث ؛ لذا (فإنّ كلاسيكيته تتبدى في حرصه على وضع قوانين ومعايير لعملية الفهم، ومن ثم لعملية تفسير النصوص ، إنّه يحاول أن يتجنب سوء الفهم المبدئي في أي عملية تفسير ، ولكنه في هذه المحاولة لتجنب سوء الفهم يطالب المفسر مهما كانت الهوية التاريخية التي تفصل بينه وبين النص أن يتباعد عن ذاته وعن أفقه التاريخي الراهن؛ ليفهم النص فهماً موضوعيًا تاريخيًا ، إنّه يطالب المفسر أولًا أن يساوي نفسه بالمؤلف، وأن يحل مكانه عن طريق إعادة البناء الذاتي والموضوعي لتجربة المؤلف من خلال النص)[2]، وهذا لا يصح في النص الديني ؛ لأنّه ليس بشريًا ولا يمكن الوصول الى مقام المولى ، وبذلك لا يمكن فهم النص من خلال هذا الفكر.

إنّ عملية إعادة البناء الذاتي ، أو تقمص شخصية المؤلف إلى الدرجة التي نفهم فيها الكاتب على نحو يتجاوز فهمه لذاته كانت هذه النزعة السيكولوجية هي المأخذ على تأويلية شلاير ماخر ، وبتعبير غادامير (شغلته سيكولوجية الحوار عن تاريخية التأويل، وحتى عن الاهمية المركزية للغة في التأويل ، لقد جرفته هذه السيكولوجية الحوارية، فضلًا عن تسويته المغلوطة بين عملية الفهم وعملية التقمص و إعادة بناء ذهن المؤلف، وأفضت به الى المزالق الفكرية التي وقع فيها في المراحل المتأخرة من تطوره الفكري)[3].

هذه هي أهم الركائز والقواعد التأويلية لشلاير ماخر والرومانسية التي أهم ما فيها أنّها اتجهت نحو أنسنة النص ، والبحث عن المعنى النفسي القصدي ، أو المثالي للمؤلف .

(١) الفلسفة والتأويل، نبيهة قارة ، ٤٧ .
(٢) إشكاليات القراءة واليات التأويل، أبو زيد ، نصر حامد ، ٢٣ .
(٣) فهم الفهم مدخل الى الهرمنيوطيقا، عادل مصطفى ، ١٠٩ .

وبهذا يمكن ان نصل الى قاعدتين انطلق منهما شلاير ماخر:

القاعدة الاولى: هو الجانب الموضوعي أو اللغوي، ويتمثل في لغة النص والمعنى اللفظي المباشر لألفاظ النص ، وهو يعتمد على معرفة اللغة وبعض القواعد اللغوية والأدبية، وهذا الجانب مشترك بين المؤلف والآخرين العارفين باللغة وقواعدها.

القاعدة الثانية : هو الجانب التقني أو النفسي، وهو المتعلق بفكر المؤلف وذهنه وقصده، وهو المعنى الكامن في ذهن المؤلف، والذي يتجسد في هواجسه النفسية الإنسانية، حيث إنّ النص ممتزج بإحساسات الكاتب، وقد أودع داخل النص مجموع ما يدور في نفسه من احساسات ونوايا في قالب لفظي لغوي.

فعملية تفسير النص تتوقف على الوصول لذهنية المؤلف، عبر التعرف إلى الفضاء الحاكم على المؤلف حين إبداع النص، والدقة في فهم ألفاظ النص ودلالاته وإشاراته، والتعرف على الظروف الثقافية والحضارية للمؤلف، ورؤيته الكونية وبذلك يتوصل بدقة لقصد المؤلف وبناء مراده.

وبهذه الصورة يكون للنص جانبان : جانب موضوعي يشير الى اللغة ، وجانب ذاتي يشير الى فكر المؤلف ، وعلى القارئ أن يبدأ بأي جانب شاء مادام أحدهما يؤدي الى فهم الآخر، وإن كان شلايرماخر يميل إلى الجانب اللغوي.

الهرمنيوطيقا:

تعريف الهرمنيوطيقا:

تُرجم هذا المصطلح إلى ثلاث ألفاظ : (الترجمة ، والشرح ، والتعبير)، وفي الاصطلاح أيضًا اختلف فيه فهل هو فن التأويل ، أو التأويلية ، أو هو منطق التفسير والفهم.

فعلينا التمييز بين فن التأويل لترجمة كلمة herméneutique تمييزًا لها عن التأويل بمعنى interprétation، إذ إنّ البعض يفضل تعريبها بعلم التأويل[1]، ويفضل البعض الآخر تعريبها بالتأويلية وأيضا الهرمنيوطيقا، ومن المهم أنّ الكلمة اليونانية

(١) تأويلات وتفكيكات، محمد شوقي الزين، ٢٩.

herméneute تعني ثلاثة أسماء: التعبير، والشرح، والترجمة.[1]

واغلب هذه المعاني المترجمة تستعمل كنتائج للمعنى وليس هي المعنى ، وأقرب المعاني هو منطق الفهم ، أو قل هو منهج وقاعدة لفهم النصوص.

أمّا بالنسبة للمعنى الاصطلاحي للهرمنيوطيقا لا يمكن أن يذكر اللهرمنيوطيقا تعريف معين ؛ لاختلاف النظريات والآراء التي طرحها أصحابها في مجال فهم النص ، وما عرض لها من تغييرات وتطورات عبر تاريخها، بحيث كان الاختلاف بين بعضها اختلافًا جذريًا ، فكان لها في كل مرحلة فهم ومعنى وطابع معين ؛ لذلك لم تسلك في مراحلها مسيرة واحدة تصاعدية، وإنّما كانت بعض مراحلها تختلف تمامًا عن مرحلة أخرى ؛ لذلك لا يمكن أن يذكر لها تعريف واحد معين يجمع مراحلها ، وتطوراتها ، ونظرياتها المختلفة هذا بالنسبة الى علماء الغرب، أمّا الاختلاف بين الثقافة الإسلامية وعلماء الشرق فيتجلى في الآتي :

تعريف جون مارتين كلادنيوس (١٧١٠- ١٧٥٩م) : أنّ العلوم الإنسانية ترتكز الى فن التفسير وقرر أنّ الهرمنيوطيقا هو الاسم الآخر لهذا الفن ، عدّوه فن بمعنى التأويل.

تعريف فريدريك أغوست وولف (١٧٦٨- ١٨٠٧م): بأنّها المعرفة بقواعد تعين على إدراك معاني العلاقات ، وهنا عبر بمعرفة القواعد وليس هي القاعدة.

تعريف فريدريك أنست دانيل شلاير ماخر (١٧٦٨- ١٨٣٤م): فن الفهم والاستيعاب ، حيث ركز على قضية سوء الفهم ، وأكد أنّ تفسير النصوص عرضة لسوء الفهم دائمًا ؛ لذلك يجب توظيف الهرمنيوطيقا كمجموعة قواعد ممنهجة للاحتراز من الوقوع في هذا الخطأ ، ومن دون هذا الفن لا سبيل الى حصول الفهم [2] ، وهنا تعبير قريب الى ان الهرمنيوطيقا منهج .

تعريف وليام دلتاي (١٨٣٣- ١٩١١م): علم يتولى تقديم مناهج للعلوم الإنسانية ،

(١) علم التأويل الأدبي، حدوده ومهمّاته، هانز روبرت جونس، ٥٦.

(٢) شبهة ورد فهم النص عرض ونقد، هاشم الهاشمي، أنظر: الهرمنيوطيقا ومعضلة النص ، نصر حامد ابو زيد، ١٤٩ ، أنظر: دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، السبحاني، ٩٦-٩٧.

فالغاية القصوى للجهد الهرمنيوطيقي عنده هو رفع مكانة العلوم الإنسانية ، ومساواتها بالعلوم التجريبية–الطبيعية– إنّما يخاله من سنخ الميتدولوجيا ، وعلم المعرفة ويريده لخدمة العلوم الإنسانية بشكل عام.

تعريف بابنز[١] باحث ألماني معاصر: بأنهّا مشروع فهم ، وتعريف مارتين هايدغر، وهانس غادامر: المقصود من الهرمنيوطيقا الفلسفية هو وصف ماهية الفهم ، ولا تنحصر بفكرة فهم النص ، ولا تقيد نفسها في نطاق فهم العلوم الإنسانية ، وإنّما ترمي الى مطلق الفهم وتروم تحليل عملية الفهم كحادثة ، والإفصاح عن شروط حصولها ، وتعريف بول ريكور : نظرية الفهم بوصفها ممارسة في مجريات علاقاتها بتفسير النصوص.[٢]

نبذة تاريخية عن المصطلح:

أول ما وجد في منطقة الشرق الأدنى (سوريا والعراق ومصر) بعد دخول الإسلام من دراسات فلسفية ، كانت الثقافة الهيلينية التي كانت خاضعة لسيطرة الإفلاطونية المحدثة إضافة إلى الهرمسية[٣] التي كانت مختلطة بجماعات الصابئة في حران ، وعقائد وأفكار المانوية[٤] ، والزرادشتية [٥]تشكل الهرمسية والإفلاطونية المحدثة مجموعة رؤى هرمسية، وإطار فلسفي لرؤية كونية غنوصية أو تدعى أحيانا بالعرفانية ، تنسب الهرمسية كعلوم وفلسفة دينية إلى هرمس المثلث بالحكمة الناطق باسم الإله ، غير أنّ العديد من الابحاث الحديثة (أهمها دراسة فيستوجير) تؤكد أنّ تلك المؤلفات الهرمسية ترجع إلى القرنين الثاني

(١) Bubner

(٢) الفهم والتأويل، حكيم بناني، ٦.

(٣) هيرميز أو هرمس ويعرفه الرومان بإسم ميركوريوس. في أساطير الميثولوجيا الإغريقية القديمة وهو رسول الآلهة الإغريق.

(٤) أو المانية كما ذكر ابن النديم في الفهرست – ديانة تنسب إلى ماني المولود في عام ٢١٦ م في بابل، والذي ظهر في زمان سابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور. وزعم أنّ الوحي أتاه وهو في الثانية عشر من عمره وكان في الأصل مجوسيًا عارفًا بمذاهب القوم وكان يقول بنبوة المسيح ولا يقول بنبوة موسى فنحى منحىً بين المجوسية والمسيحية.

(٥) وتعرف بالمجوسية هي ديانة إيرانية قديمة وفلسفة دينية آسيوية. كانت الدين الرسمي للإمبراطوريات الأخمينية والبارثية والساسانية.

والثالث للميلاد ، وقد كتبت في مدينة الإسكندرية من طرف أساتذة يونانيين ، وبشكل عام تقدم الرؤية الهرمسية تصورًا يسيرًا عبارة عن إله متعال منزه عن كل نقص ولا تدركه الأبصار ولا العقول ، بمقابله توجد المادة وهي أصل الفوضى والشر والنجاسة ، أمّا الإنسان فهو مزيج جسم مادي غير طاهر، يسكنه الشر ويلابسه الموت، وجزء شريف أصله من العقل الكلي الهادي هو النفس الشريفة ، تتصارع في الإنسان الاجزاء الطاهر والنجس، وتتصارع فيه الاهواء بين رغبة بالله ، ورغبة في الشر لذلك جاء الإله هرمس ليقوم بالوساطة بين الإنسان والإله بتوسط العقل الكلي الهادي ؛ ليعلم الناس طريق الخلاص والاتحاد بالاله ، وهنا يحدث الفناء في مصطلح الصوفية ، لكن هذا الطريق صعب لا يتحمله إلّا الانبياء ، والأتقياء ، والحكماء.

كل هذا يشكل مبادئ الهرمسية والعرفانية ، وتشكل الأفلاطونية المحدثة عن طريق العقول السماوية العشرة ، ونظرية الفيض التي تنتقل عن طريقها المعرفة من العقل الأول إلى الإنسان وبالعكس الإطار الفلسفي لهذه الأفكار.

فمشكلة الهرمينوطيقا الأولى وممارستها ليست مشكلة حديثة، وإنّما موغلة في القدم، فقد اقترن ظهورها عند اليونانيين في العصر الكلاسيكي بوصفها إجراءً ، أو طريقًا في قراءة النصوص الأدبية وفهمها ، وقد أطلق أرسطو هذا اللفظ على قسم من أقسام كتاب أرغنون الذي يتناول مباحث منطق القضايا ، وعادةً ما توجد هناك علاقة واضحة بين الاشتقاق اللغوي لهذا الاصطلاح – الهرمنيوطيقيا – وكلمة (هرمس)، وهو الملاك الذي ينقل رسائل الآلهة ودساتيرها إلى الأرض.

وحتى القرن السابع عشر الميلادي لا يوجد فرع للعلوم بهذا الاسم، وإنّما حدث ذلك بعد القرن السابع عشر الميلادي فما بعد.[1]

فمصطلح الهرمنيوطيقا مصطلح قديم بدأ استعماله في دوائر الدراسات اللاهوتية ؛ ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني (الكتاب

(١) أُنظر: در آمدى بر هرمنوتيك، أحمد واعظي، ٢٢ – ٢٤.

المقدس) فيما يعرف بتفسير التوراة، وقد كان لهذه النشأة في كنف الدراسات الدينية ما يبرره ، لاسيما إذا علمنا مدى صعوبة الصراعات التي نشبت بين كل من حاول تفسير التوراة خارج إطار التفسيرات الرسمية لدى الإكليروس[١]، أو رجال الدين، الذين يصرون على ضرورة أن يكون الفهم أحاديًا بعيدًا عن التأويل المجازي الرمزي.[٢]

فكلمة هرمنيوطيقا تعني في الأصل فن ، أو علم التأويل هي أقدم الاتجاهات عناية بفن فهم النصوص، ويعود أول استعمال لمصطلح الهرمنيوطيقا للدلالة على هذا المعنى عام ١٦٥٤م [٣] ، وقد طبع أول كتاب يحمل عنوان الهرمنيوطيقا لدان هاور سنة ١٦٥٤م، وهو التاريخ الذي اعتبره غادامير المرحلة التي تميز بين التأويل اللاهوتي ، والتأويل القانوني.[٤]

مراحل الهرمنيوطيقا:

بما أنّ الهرمنيوطيقا علم جديد وله اتجاهات وآراء ومراحل مختلفة، وعلماء متعددون في الغرب ولا زالت تواصل مسيرتها حيث تظهر أسماء ، واتجاهات جديدة مع اختلافهم الكبير في الرأي ؛ لذلك وقع بعض الاختلاف بين الباحثين، في أسماء هذه الاتجاهات والمراحل، أو بعض آراء علمائها ، فبعض المراحل سميت بالرومانسية في حين سماها بعض الباحثين بالكلاسيكية، لذلك فلا أهمية للتسمية، وإنما المهم التعرف على بعض علمائها وآرائها ، وأمّا البحث الشامل عن هذه الاتجاهات والمراحل وعلماءها وآرائها، فلا يتسع له هذا البحث، ونذكر هنا أهم هذه المراحل.

المرحلة الأولى:

الكلاسيكية التي تعتمد طرح منهج لتفسير النص المقدس، أو مطلق النصوص ، وهذه المرحلة منصبة أساسا على عنصر المؤلف لما له من أهمية قصوى في تفسير النصوص

(١) الإكليروس Clergy، هم رجال الدين وهم ثلاث فئات: الأساقفة (المطارنة) ،القسوس (القمامصة)، الشمامسة.

(٢) إشكالية القراءة و آليات التأويل٢٠٠٦، نصر حامد أبو زيد، ١٣ .

(٣) النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، فاطمة الطّبال بركة، ٥٦ .

(٤) أنظر: فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، هانس غيورغ غادامير، ترجمة: محمد شوقي الزين، ٦٣.

والأعمال الأدبية.

مرحلة التأسيس بدأت بوادرها مع شلاير مارخر في القرن الثامن عشر للميلاد والذي جعل الفهم في مركز الممارسة الهرمنيوطيقية عندما عرفها (بفن امتلاك كل الشروط الضرورية للفهم)[١] ، وبذلك يرجع إليه الفضل في تأسيس الهرمنيوطيقا بعد أن عمل على جعلها ذات دلالة منهجية تؤسس لنظرية الفهم الصحيح ، ليس للنص الديني فقط ، وإنّما يشمل جميع النصوص، وبرغم من هذا المفهوم الواسع للهرمنيوطيقا الذي أوجده شلاير ماخر إلّا أنّها تبقى بعيدة عن دائرة البحث الفلسفي، ومن هنا لم يعتني شلاير ماخر بطبيعة الفهم وماهيته الذي يدخل في صلب البحث الفلسفي ، إنما طرح منهجًا لتجنب سوء الفهم.

المرحلة الثانية:

وقد طور الفيلسوف دلتاي ١٨٣٣ -١٩١١م ما طرحه الفيلسوف شلاير ماخر بعد مائة سنة ، بحيث أوجد بذلك مفارقة منهجية بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية (بعد أن رأى الوضعيون أن الخلاص الوحيد لتأخر العلوم الإنسانية عن العلوم الطبيعية ، يكمن في ضرورة تطبيق المنهج التجريبي نفسه للعلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية ؛ سعيًا للوصول الى قوانين كلية يقينية)[٢] ، وقد أسس دلتاي هذه المفارقة على أساس أنّ العلوم الطبيعية ذات سمة وصفية بعكس العلوم الإنسانية التي ترتكز على المعنى والفهم ، إنّ الفارق بين العلوم الاجتماعية والطبيعية يكمن في أنّ مادة العلوم الاجتماعية –وهي العقول البشرية– مادة معطاة وليس مشتقة من أي شيء خارجها مثل مادة العلوم الطبيعية التي هي مشتقة من الطبيعة [٣] ، وبهذه الدلالة الجديدة اكتسبت الهرمنيوطيقا فاعلية جعلتها حاضرة لدى كل العلوم الإنسانية بما فيها الفلسفة إلّا أنّها تظل ذات سمة منهجية أكثر من كونها فلسفية محض.

(١) من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة، شرفي عبد الكريم، ١٧ .
(٢) اشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، ١٤ .
(٣) أنظر: اشكاليات القراءة واليات التأويل ، نصر حامد ابو زيد ، ١٤ .

المرحلة الثالثة:

المرحلة الكبيرة التي أدخلت الهرمنيوطيقا الى عالم الفلسفة أي من المحور المعرفي الى المحور الوجودي ، فكانت في القرن العشرين على يد مارتن هيدغر الذي أقام الهرمنيوطيقا على أساس فلسفي ، أو أقام الفلسفة على أساس هرمنيوطيقي ، وطالما أنّ الفلسفة هي فهم الوجود تصبح الهرمنيوطيقا ملازمة له سواء صرح بها ، أو لم يصرح –هيدغر– لأنّ البناء الفلسفي لوجودية هيدغر يرتكز على إدراك الوجود عبر إدراك الوجود الإنساني الذي يتميز عن بقية الموجودات بحالة الوعي الوجودي، واللحظة التي يكون فيها الكلام عن الوعي ، ولفهم هي نفسها اللحظة التي يكون الحديث فيها عن الهرمنيوطيقا ، ومن هنا يكون هايدغر قد أسس نظاما فلسفيا للفهم عبر فلسفته الوجودية ، وقد سار على خطاه الفيلسوف غادامير ؛ ولذلك يؤكد على ضرورة تجاوز المناهج لتحليل عملية الفهم نفسها في فعالياتها وملابساتها التاريخية ، ما دامت كل المناهج –بما في ذلك العلمية– تتأسس في العمق على التفكر التأويلي.[1]

الفلسفية التي تبحث عن حقيقة الفهم وظروف حصوله دون أن تطرح منهجًا للفهم، فقد عرفت تحولًا في المسار النقدي في اتجاه ترسيخ سلطة أخرى على غرار سلطة المؤلف وهي سلطة النص، حيث كان الإعلان عن موت المؤلف من قبل أقطاب البنيوية إيذانًا بتحرر الفكر النقدي من سطوة المتكلم ، وبالتالي الولوج إلى مسرح الكلام، وهو الإعلان عن تحول وجهة النظر من الناطق بالنص إلى النص بذاته ، أو من ناسخ القول إلى نسيج القول.[2]

وهذا تحول نوعي حيث التحول من مرحلة الهرمنيوطيقا المعرفية (الاسيتمولوجي) الى المرحلة الوجودية(الانطولوجي).

وهذه المرحلة عرفت فيها الدراسات الأدبية تحولا نوعيا في اتجاه ارساء دعائم التأويل

(١) أنظر: من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة، شرفي عبد الكريم ، ٣٦.
(٢) أنظر: اللسانيات، وإبستيمية النقد ، عبد السلام المسدي، ع ٣٢، ١٩.

عبر العناية بدور التلقي الذي أصبح جزءا لا يتجزأ من كل عملية تأويل، ونال القارئ فيها حقه، حيث أصبح النص متوجهًا إليه بوصفه الموجود الوحيد ، والحكم الفصل وهو الكاتب الجديد للنص والمفترض دائما.

وينبثق مفهوم التأويل من جملة التطورات التي حصلت في التيارات الفكرية والنقدية مسايرًا تطوراتها المعرفية بعدّه جهدا عقليا يحاول الوقوف على النصوص في انفتاحها اللانهائي ؛ لاستكشاف الدلالة التي تربط بمفهوم القراءة، ومن ثم تصبح العلاقة بين القراءة والتأويل جدلية تقوم على التفاعل المتبادل بين النص والمؤثر فيه القارئ الذي يحدد آليات القراءة وإجراءاتها المنهجية.

في حين قسمها البعض لثلاث مراحل: المرحلة المنهجية، والنفسية، والفلسفية.

وفي جميع هذه المراحل ما قبل المرحلة الفلسفية ، فإنّ علماء الهرمنيوطيقا كانوا يعتنون بالوصول لقصد المؤلف ، أو بوجود معنى معين للنص، ولكن في الفلسفية لم تعتني بصحة الفهم ، أو خطئه وإنما بحثت عن حقيقة الفهم.

نقد وإشكالات الهرمنيوطيقا الحديثة:

الاشكال الرئيسي على الهرمنيوطيقا الحديثة هو اشكال بنائي نقضي ، إذ إنّ انطلاقها من أنّ النص القرآني بشري ، وهذا خلاف المعتقد الإسلامي ، إذ لا نسلم بذلك؛ وذلك إنّ النص نص إلهي مصدره من الله سبحانه وتعالى، فهو رباني معصوم ، بخلاف النص البشري فهو إنساني غير معصوم ، كذلك أنّ النص القرآني معجز وصالح لكل زمان ومكان، بخلاف النص البشري غير معجز ، ولا يتسع أكثر من بيئته ، ومناخه الموضعي بمعنى أنّه محكوم بظروف زمانه ومكانه ، كذلك من صفات النص القرآني يقيني وقطعي بخلاف النص البشري نسبي واحتمالي ، ومن هذه الفروق الأساسية بين النص القرآني والبشري يقود إلى حقيقة دامغة لا ريب فيها ، وهي أنّ النص القرآني متفوق في بعده الزماني ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا، عالمي في هداه، عصري في مواكبة النوازل والمستجدات، قيوم على الناس والواقع والتاريخ، وهذا وحده كافٍ برد الهرمنيوطيقا وابطالها.

كذلك الهرمنيوطيقا قائمة على فكرة عدم حصر النص بمعنى معين ، وإنّما توسيعه الى معانٍ متعددة وتفاسير غير محدودة فهذا يفضي الى القول بالفوضى ، حيث ذكر الواعظي هذا المعنى ورده : «فلو قلنا أنّ التفاسير غير محدودة ممكنة أن تجري على نص معين، ولا نجعله من جهة أخرى بتقديم تفسير على آخر في الصحة والحكم، ففي هذه الحالة سيصبح اقامة الدليل ، وحشد الشواهد للانتصار تفسير ما، وطرّ سائر التفاسير عن طريق الاستدلال، عملا عبثيا لا ثمرة منه ، غير أنّ العقل والسيرة العملية للعلماء في كافة المجالات المعرفية الدينية منها ، والادبية والفنية والعلوم المختلفة قائمة على البحث في الاستدلالات على المعاني المختلفة حول نص ما ، وعدم محدودية القراءة للنص، نظرية في غاية الخطورة والإضرار؛ لأنّها تسد باب التأمل والتشخيص؛ إذ يعتقد أنّ كل تفسير ، وقراءة عن نص تتبدل الى أمر شخصي وفردي غير قابل للتوجيه....، فمنطق تحطيم النص على هذا التحليل يعدّ القارئ والمفسر مبدعًا وصانعًا لنص جديد ، بمعنى أنّه تفسير شخصي للنص غير مقيد بقاعدة وحدود؛ ولذا فإنّ فهمه لا يكون موضوعًا لأي نوع من النقد والتحليل النقدي»[1]

فالهرمنيوطيقا لم تكن لتوضح النص ومعرفة دلالاته ومضمونه ومقاصد الشريعة، وإنّما هي قراءة تتجاوز المعنى الاصطلاحي والحقيقة الشرعية المتواضع عليها ، وهذه القراءة متعلقة في الأساس بمؤهلات القارئ ، ولا أهمية للسياق العام للنص في التأويل، فالمقصود ليس الوصول الى حقيقة ما من النص أو تفسيره، وإنّما الهدف هو تحقيق غرض القارئ ، وتحكيم فكره على النص، ومن هنا فلا اعتبار للتراث ، ولا قيم له لأنّه ليس مقصد القارئ.

النتائج

أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث هي:

أنَّ الظروف الموضوعية ساعدت على وجود هذا المنهج «الهرمنيوطيقا» .

يعتمد هذا المنهج على قاعدتين: الجانب الموضوعي (اللغوي) ، والجانب التقني (النفسي).

(١) مجلة قراءات معاصرة، علم الدلالة وأثره في المعرفة الدينية، الواعظي، أحمد، العدد ٣، ٣٠٠-٣٠١

أنّ الهرمنيوطيقا لها ثلاث مراحل : المؤسس لها وهو شلايرماخر ، ومطبق لها دلتاي ، والمعبرعنها بالهرمنيوطيقا المعرفية ، ثم المرحلة الثالثة على يد «هيدغر وغادامير» والمعبر عنها بالهرمنيوطيقا الوجودية.

إنّ الهرمنيوطيقا تنطلق من بشرية النص، والقارئ ، أو المفسر لا يريد أن يفهم المعاني من النص، بل يريد أن يوجد معاني لهذا النص ، فعمله ليس فهم النص ، وإنّما عمله إيجاد معاني جديدة للنص حسب البيئة والظروف التي نشئ فيها ، وهذا يُعد اتجاه تم تحميله على النص أو قل هو التفسير بالرأي المحرم شرعًا والمذموم عقلًا.

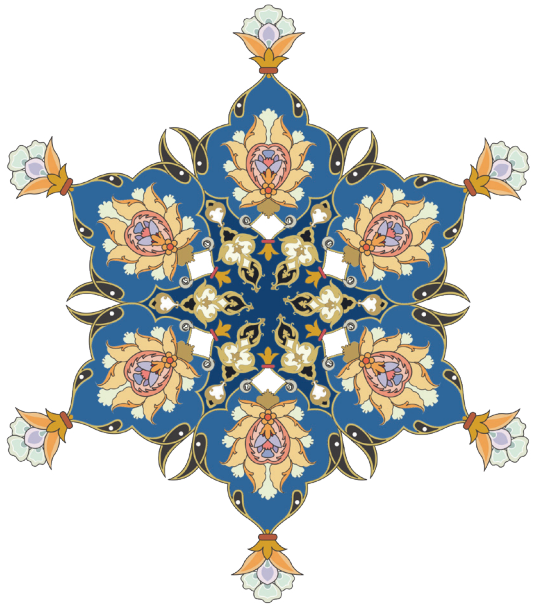

المصادر و المراجع

١. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، زقزوق، محمود حمدي، مطابع الامة، ط١ قطر، ١٤٠٤هـ.

٢. إشكاليات القراءة وآليات التأويل، أبو زيد، نصر حامد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٧ بيروت، ٢٠٠٥م.

٣. انطولوجيا اللغة عند مارتن هيدغر، إبراهيم أحمد، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٨م.

٤. تأويل الظاهريات الحالة الراهنة للمنهج الظاهراتي وتطبيقه في الظاهرة الدينية، حنفي، حسن، مكتبة النافذة، ط١، ٢٠٠٦م.

٥. خطابات لمحتقريه من المثقفين، شلاير ماخر، فريدريش، ترجمة: اسامة الشحماني، مراجعة وتقديم: عبد الجبار الرفاعي.

٦. در آمدى بر هرمنوتيك، أحمد واعظي.

٧. دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، السبحاني، جعفر، قم – إيران، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط ٣، ١٤٣٣ هـ

٨. علم الدلالة وأثره في المعرفة الدينية، الواعظي، احمد، مجلة قراءات معاصرة، العدد٣، النجف الاشرف، ٢٠١٦م.

٩. الفسارة الفلسفية ، الدكتور باسل عون

١٠. فلسفة التأويل الأصول، المبادئ، الأهداف، هانس غيورغ غادامير، ترجمة: محمد شوقي الزين، دار العلوم، ط٢، بيروت، ٢٠٠٦م.

١١. الفلسفة والتأويل ، قارة ، نبيهة ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ،ط١ ١٩٩٨م.

١٢. فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من افلاطون إلى غادامير، عادل مصطفى، رؤية للنشر و التوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٣. اللسانيات وإبستيمية النقد، عبد السلام المسدي، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،ع ٣٢،١٩٩٧م.

١٤. ماهية اللغة و فلسفة التأويل، سعيد توفيق، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ٢٠٠٢م.

١٥. معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة، ط٣، بيروت، ٢٠٠٦م.

١٦. من النص إلى الفعل، أبحاث التأويل، بول ريكور، ترجمة محمد برادة، و حسن بورقية، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، الجيزة،٢٠٠١م.

١٧. من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، عبد الكريم الشرفي، الدار العربية للعلوم، ط١ الجزائر، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م.

١٨. النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، فاطمة الطّبال بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

١٩. هانز -جيورج غادامر، سعيد توفيق، المشروع القومي للترجمة القاهرة،١٩٩٧م.

٢٠. هانز روبرت جوس، علم التأويل الأدبي، حدود ومهمّاته، ترجمة ، بسّام بركة ، مجلة العرب والفكر العالمي، ع: ٣.

٢١. الهرمنيوطيقا هل لها مجال في الفكر الاسلامي، خزعل غازي، مقالة نشرت في البحث مؤتمر الوحدة الاسلامي الخامس في طهران.

٢٢. الهرمنيوطيقا و الترجمة، مقاربة في أصول المصطلح وتحولاته، بارة، عبد الغني، مجلّة الآداب الأجنبية فصلية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع:١٣٣، شتاء٢٠٠٨م.